أنسي الحاج

الرأس المقطوع

دار الجديد

انسي الحاج

الرأس المقطوع



إلحقوا السّهم

الفَيْض

ذهَبَ غُراب

يَحوّم فوق المِسك الممضوغ والأجناس المطفأة.

أشْعَلَ الغُلامُ المُطلّ لُفافةَ الاستمناء الكبيرة.

لَمْ

لمْ يَذْكُرْ

أنّه شاشَة حمراء

لأنّ قلب العالم أبيض

لم يَقُلْ

إنّني أسْوَد

من أجل اللّيل

حين تَزْجع العصافير.

هم والحواة والمصارعون

أنْزلتُهم عن الورقة لأُلمّع زجاج فتاة.

يُوجَدُ درب. صرتُ أُناول قرباني.

طَلَعتُ من الصخور وتركتُ الأرض لدبابيس الوَرَق.

الخنزير البرّي

عاريةً أُهيّجُ رياح أنفك لكنْ لعبةُ الكأس لا تمشي عليك لأنّ بطنك لم يَعُدْ يفرح بالسَّفَر والتجارة وأنتَ مكبوس بالشمس والريح.

أعرفُكَ ملّاح الفُروج: عَبَقْت بالجثث، نخيرُكَ أهْلَكَ القَمَر. سيّد المركب الفارغ نَهَشتَ في الوحدة أسنان خيالك.

هذه فُتحةُ الحزام الأرجوانيّ! إنّي جميلة جائعة. ستندلق على ظهركَ أقواسُ قُزح. المياه تعلو لكنْ سترحل تتأبّطني فوق المياه لأنّ في حنيني جروحك فلتبقَ. غنّ لجلدكَ المُحيط بالموت. تَعْبُدني.

عبادتُك تتفتَّح من قفص. رَقْصُكَ على سلاسل قدميك. نير الظلّ يحني دَنَسَك. أتمسّحُ بك. تتعقّبني فأُحمّلك نارَك. تسمعني وتُضاجع. عارية، وتُرخي غصون عينيك. يا جُبنك الساحر يا تَقزّزك البارّ يا عارك يمنح الجَسَدَ صباحَهُ الأبديّ الروحَ الجَسَدَ الأبديّ النارَ النارَ الأبديّة. صارغتَ الخَرْقَ غَدْرَ المُلْكِ جاوزت رُفاتَ الصباح.

نسغُهم شاسع، الصيّادون، ملائكة وزواحف. الأقبية والحليب والهاوية لهم، على الريش ينقضّون يُربّون الغابة. لهم التراب والماء.

أيُّها الخنزير

أيُّها الخنزير البرّيُّ الأبيض

فلتنفجر.

فَخْذُكَ في وطن، دمائي منفيّة إليّ، لِمَ الوحوش تخاف علينا؟ يترصّدنا النمل!

ها الذين ثلّجوا الحُلْم الذين يَرْشَحون الوحل يَنْضَحون الحَرَس اعتمروا اللّبدة المُعلّبة! ها الذين عفّنوا العُهر دجّنوا شوك التوتياء أغلقوا القلب حزّموا مشدّ الدمعة، ها عصابة القذف وديدان المخادع، حليبهم حِبْرُ الربّ. ها شعوب الرعد والمطر.

حدّقْ

أنشبْ قَرنيك

تمسّكْ برائحتي

الهُوّة بيننا، فلتشدّنا

ندّخر السّراب، نُغرّق الجسور، نصنع ماء النهر الجديد ونَنحتُ الصبْرَ حذاء،

الجنْش طروادة.

كلّما أحبَبتُهم وقعوا من القطار

إبدالُ يديها بالضحك، وما هي إلّا نصف ارتباك. لم يشعر به الفارس من قبل.

كانت الصالة مُغنّية تجهل الرجال وتُؤجّل الحُكم في هذه القضيّة. وقَفَزَ الخادم يُتَوّجُهُ شَعر رومنتيكيّ وبارك تلك الشجاعة وغادرها دون أنْ يُضيف شيئًا.

المساكين!

كلّما أحببتُهم وقعوا من القطار!

وتورّدت وجنتا الصالة وصاح الفارس، بحاجة إلى عذر!

إنّه العصر الطويل، المناطيد تنأى بالحجارة. وشاء القَدَر أنّ الفارس وَقَع في حَيْرة فاعترفتْ له المُغنّية بقلقها وقالت: أُريد أنْ أفهم...

وكبرا في الدير. غَلَب اليأس على المُعجبين ورأت المُغنّية أنّ نبأ المُغامرة سيزدهر، وسمعتْ وقع حوافر عصيّ فقالت بحماسة: حَسَنًا!

ولم يكن الفارس ناويًا ذلك، لكنّه صاح فوق يديها: تُقيمين طويلًا هنا؟

وراح يتحدّث عن شيخوخته بعبارات بيضاء أي بلا حُبّ فلم تسمع المغنّية. وانقضى النهارُ ساحرًا تضحيةً جديدة.

إلى الغد يا أعزّائي!

البقاء للمَوْلى

كُلّ مُحاولاتي للقبض على المَوْلى وزجّه في جيبي. أنا بين هواء الصنوبر حُرّ وفوق الجبال أسلخُ أظافر الكبار.

المَوْلى يقطع المواصلات لا أحد يجده. إنّه الحصن. مَنْ مَعَهُ سيول لفمه. صحيح، يدكّ الجثث بسماد البَقَر.

كنتُ سأقبض عليه لولا الكاهن الذي عَرَّفني وانتَحَر.

القيامة

مُلقاة على جانبي نهديكِ ووجهي مستطيل وذقنُكِ وشعرُكِ وخْل وعلى ذقنكِ مُثلّث وطبيب بخادمه.

ـ كيف نُبيّض، يقول الطبيب، وجه الحركة؟ نَرْكض نهضة. لكلّ منظر شمس تسطَعُ على القناطر وتجفّف العلماء. (ينظر إليّ:) إمشِ، نخرج من الجثّة.

وأنظرُ. لا تفعل شيئًا الزجاجة، والشجراتُ الرفيعة. في المُقابل، كمدخنة، عشيقان. لا أحد يغطّي وجهكِ لأُشاهد حياء عريك. القشّ صامد على القالب غضبًا، سيقع. عينُكِ كما سبق أنْ قلت، زوبعة ناصعة. طريق الوطواط واضح.

مِنَ الغَمر إلى النظام نوم على النهدين تحت المُثلَّث. أمّا وجهي الآن فصَمْت. عندي أجنبيّ مُمسك بعناني داخل ترسه.

ـ نحن (يتدلّى المفتاح من جبينه)

70 نحـــن 1000 نحـــن 1000000000000000 (يـــذكر نسبة، من المسيحيّين إلى العباقرة إلى الفاشيست إلى الماركسيست إلى الإغريق إلى البراهمة إلى الصارليّين إلى الهوهويّين إلى الأيريّين إلى المُعتزلة إلى الفرينولوجيّين إلى اللّامنتمين إلى المكسيكيّين إلى الأكروماتوبسيّين إلى الجَوْهَريّين إلى البسيكو ـ فيزيو ـ بسودو ـ نيو ـ سكولا ـ بارا ـ سكيزو ـ مايو ـ مايا ـ نومي ـ جودا ـ مالا ـ أكزي ـ بيرونيّين وأكلة لحوم البشر وغيرهم)

يقول الأجنبيّ،

ـ نحن جميعًا...

أنظرُ إليكِ.

نهر. نهر دون عِلمي. أُنكر هذه النَّمَط. إنّي رصين من النَّمْل والآلهة. الأجنبيّ الذي يحملني (ممشوق في ظَهْري) ينطق بريشتي. وكلُّ هذا سخف. بيني وبينك: أنا والطبيب وخادمه سنخرج من الجثّة. لا غير. كيف تشعرين؟ لم أقل كلمة. في كعب الزجاجة يد (تقولين يد اللّه) تُزَوْرِبُ بين حزم الخيش والتبن من أعلى إلى... وتحضنني. تحتها بقايا سرعة. أقف مع حيوانات صغيرة، الأجنبيّ لا يبدو. أتساءل هل يبقى الأجنبيّ؟ ليتني، قبل أنْ تموتي، حوَّلتكِ امرأة! لكنْ جسدي

كفاني. زَوْبَنْتُهُ. غريمتي، حبيبتي، لا تدَعي أحدًا. الدم المرتفع كحائط على اللحم يُزعجني. داخلَ الدم اللّذّة. في العُلبة. كتبتُ إلى الفتيات: «احفظنَ عُلَبَكنَّ!» لأنّني أعرف من أين تنبعث عطورُ الطوفان:

من السدّ!

من السدّ المراوغ!

ماذا قال الأجنبيّ؟ هذا رجُل عجوز. لعلّك ترينه. أليس كلامه سهلًا؟ سنخرج بعد قليل لنسمع الأجراس العتيقة تحت العجلات. وأنتِ غريمتي، شهوتي، على النهدين، وذقنكِ يَدْعَمُ الطبيب وخادمه. سنخرج. نخرج. الطبيب يسحب جسدي والخادم يضخّ فينا الجلال. واليد الحاضنة تُبقبق وتصيح وترفع الستار وراء ظهري.

أرى الأجنبيّ ينقضّ عليكِ. يَطْلَعُ منكِ. أسْمَعُ ألفاظه تَنْغل فيك، تنتفخ وتنتفش وتقشعرّ كالشعوب.

إلحقوا السّهم

قاطَعَهُ الأمير بجميع الوسائل. توجَّهَ إلى المسرحيَّة حيث السائح يتأرجح على الحجارة. صَعِدَ إلى الأحداق وأفرغ رشّاشه فانفصلتْ هالة، وفي الصباح أصبحتْ فتاةَ مدرسة.

عاد الأمير فوافق. لكن الخبر لم يَصِلْهُ. لا تفكّروا. هذه المُحاولات خُطوط مُتوازية تُؤلّف الكُتب.

يروح كأنّه ما حصل. أُمّ تَعِبَتْ.

يَذْكُر الأمير الهرطقة المعكوسة. حتّى حدود الجبال أعضاء في الكتابة! وينفعل. اخرجوا كلّكم! ويفتح صُوَرَ النساء وفي يده المجهر الهادئ الذي يُغلق الأبواب.

يضغ إمضاءه. يتشنَّج. أغلى العرائس تظهر فيه. يشقّ صخور الحرير ويستعدّ للحرّيّة.

لا تُفكّروا. السهمُ يشير إلى الفراغ. لو كُنتُ ذكيًّا لجدّدتُ الفراغ! المياه العَكِرَة تصطاد مَن يمرّ.

إلحقوا السهم.

بُحيرة

من كان يُصدّق أنّ الفلكيّ هو الصحراء أكثر من البدويّ؟ رأى صديقي الأنابيب والعقاقير وأوعية تصعد إلى... برفقة القابضين على المفاتيح خفيفة خفّة الفوز. ووقف أمام خيط هامَ به وأقسَمَ أنّه غيرُ عاديّ. ليس لعبة ليس سحابة. خيط مالح يرتفع من بلعومِ مَعْبَد.

كان العَرَقُ يتصبّب وكان صديقي. والإوزّ يتنقّل على الماء المغليّ والضباعُ تأكل المساحيق تتمشّى مُطيحة الآنية الثمينة. أمّا خيط الدخان الأبيض فلا شيء يحدث لجلسته اليائسة مُنحدرًا من وسيط تائه ومتصاعدًا من وسيط أبديّ الانحدار بركانًا في عصا من الحرير.

قال صديقي لم يرَ قزمًا. «ولِمَ عدت؟» سألتُه. «كي أرفع لعنتي عن البدويّ قبل أنْ أفْتَح».

ما عَرَفْتُ أيَّ بدويّ. لكنّ صرتُ أرى كفَّ صديقي خيوطًا تصعد وتنزل بين وسيطين توأمين وفي منتصف جبينه لطخةُ انتقامِهِ تَتَّسع وتأكله.

بين أربعة رياح

سريران

بينهما نبيل رومانيّ.

على السرير الأحمر جبل يُغالبه صبره. المرأة طازجة عليه، جامدة.

على السرير الأزرق رجلاه العاريتان. يلحس أبعادَ ظهرها.

الباب مفتوح.

على الأرض، أمامهما، مُشيحًا بعنف، النبيلُ الرومانيّ ذو الشفة الجالسة على العرش.

الجدار الواقي من الهوَّة تبخَّر في الليل. الثلاثة مُعرَّضون.

فجأة ينغلق الباب ويرجع الجدار.

في مكان ما أستغيث...

الرأس المقطوع

ـ ماردُ الصين نفخني

ـ تتكلَّمُ ولا تنظر

ـ المصابيحُ داختْ في السيّارة

ـ سَيَراني

ـ مَنْ؟

ـ مَنْ أعرف؟ في الشارع

ـ في البحر

ـ في الشارع

ـ في البحر

ـ ماذا

ـ في البحر وثيقة

ـ لا جَسَد لي غير...

ـ عن العيون تبتسم للهرب وتمزج العيون بالعداء وتتوارى

ـ مارد الصين نَفَخني. هزَّ كلّ كوخ من اللّبان

ـ العيون العالية

ـ العيونُ الأدبيّة!... لا إله

ـ يديرها النسر

ـ النار! سَمَكَة حمراء

ـ العيون، الأنقاض. بُخار المرتفعات. قمحُ الأشباح

ـ مسكونة ومُفْرَغَة

ـ آهلة باللّمس والنيران. بيضاء بالمَطَر. تنزل من رأسك المقطوع...

الصّمت العابر كالفضيحة

1

ما العمل بالصمت؟

أيّ حقيقة يكتشف الإصغاء في الصمت؟

أنواع من الصمت... لكنْ أتكلّم عمّا يرفض باستمرار أن يحميكِ!

الصمتُ العابر جَسَدَكِ كالفضيحة.

لا تُحاولي أنْ تنظري إليَّ. لن أستنجد ضدّ ما أجهل. ضدّ ما أسمع!

مَنْ منّا يجرؤ أنْ يجتاز هذا الفرق، ونصفُنا في العتمة؟

أتكلّم عن الصمت الذي قد يَحدث...

عندئذ تتهامس المرأة والخنجر قراراتِ اللحظة،

والأسبابُ تهرب...

عن الصمت الذي يُهدّد بالرسوّ. الفاجر وحده في البئر.

ما العمل بالصمت؟

تُرى لو سكتنا قليلًا...

2

نجمة البلد الأبديّ

التي ألمَّت بمجرى الشمس

وتغوص

في الوهج الناعم

أكثر حرارة من الندى

أكثر حقيقة من صوت المرآة الآخر

أنقى من غريقِ ملاك

الظاهرة في نَفَقِ الستائر

عند حُمرة اليأس

التي تسْكُن

التي تُرسَل وراء القلب

تمدّ شفتيها إلى الأيادي العجوزة

تلعب بشَعر الحَجَر

وضبابُ جمالها

قُرب نهديها الرزينين

يُريح جَسَد الصُّدفة

وشمسُها المُعلّقة

تتعلّم سهولة الماء

بين أغصانها

من عشبة مستحيلة صابرة

نجمةُ البلد الأبديّ

تفرش البساط القديم

لحوار أعمى

يبتسم

يُرخي رأسه كلَّ مكان

أكثر عذابًا من الكنز

أكثر هدوءًا من الدم

أكثر تناقضًا من الصوت والصدى

تَجْمعُ شمل النوم

تَحمِل كالبطن وتُحْمَل كالهمسة

قاسية كعينَي حاجب لا يُذْكَر

مُثْقَنَة كخطاب

مُتعدّدة ومضمومة كالضوء

جبانة كالطوفان... يأتي ولا يأتي.

نجمة البلد الأبديّ

تقوم من رماد الوحي

تغوص

في جحيم الأبْيَض السكران

والأحمر العاقد ربطةَ السَّفَر

والأسْوَد الميّت في الرؤى

والأصْفَر الخاطئ في النقاء

والأزرق الرجعيّ

والأخضر المقطوع السَّمْع

والبنفسجيّ العاتب

وتغوص

في وجه السحاب المُتَّصل

في شيء ما

يحملها وأتبعها

لنتَّحد

وسرًّا، بصمت عال

تدخل أخبارُنا المُقْفَلة

تخرج من الطُرُق

وتقطعها

بثلوج الشمس الحمراء!

3

النازلة نهر العصور

الأغنية المُحرَّفة

أيقونة الحظّ

أصابعي تفتح لكِ جناح السنة المقبلة!

(وتاجُ الشعوب الخفيَّة كلّ هذا الحين كان إلى جانبي... مرَّة، بين نومين، نَفَضْتُ عنه الغبار!

كم من الوقت الحياديّ!

كم من الشّعر!...

الآن رفعتُه. أنْ نذهب، أنْ نذهب. ولا شيء آخر).

قديمًا كانت الينابيع آتية ودّعني الجميع وغرزتُ إعلاني. سحبتُ اللَّحم من الأدراج ولبَّيتُ الرموز بأسناني!

لهنَّ، من مختلف زوايا الولادة، كنتُ أجيء البكر. آه! كم يطول رثاء أراملي!

أيُّها الغامض، المرأة أخيرًا!

خاتمة الرسائل، بدايةُ الدّين، عنفُ الينابيع. لكِ إعجابُ البحيرة العرّافة، واحترامُ الغبار! اللُّغات تُهدي إليكِ عُروتها...

... هكذا ولدتُ.

إلى حدود الشراع داخل ثوب الركض رأيتكِ تُشَعننين فارسي. الحبّ! لا حاجة للحبّ. جبينكِ يحضر في النار حنونًا كالماء عاريًا كالحنجرة. حُبلى بالمصابيح وتجعلينني أحلمُ بأنْ أنسج الصوف للخطر، وتجعلينني أُبصّر للبحر...

لكِ تمجيد الصحراء الداخليَّة. لكِ غمزة الفراغ. لكِ شهادة الطاهر الأخرس!

ولن يرفع زمن عليكِ صوته. أنحَلُ من الذَّهَب أكثرُ أنوثة من الشاعر، صرخة اللّحظة في الرأس!

المكان الباقي أُهمله للرؤساء. وَرَقُ الكتابة للّذين سيجيئون ويقولون...

بَعْدَنا الحبّ! لا نقدر أنْ نُودّع أحدًا وهذه فداحةُ جمالنا! عجّلي!

في مهبّ جَسَدِكِ المسنون وضعتُ نخْلتي. لقد سئمنا ما ليس من عُمرنا. لم يَعُد أمامنا غَيرُ كلّ شيء!

طائران فرحًا من الفم!

نُخلّي للعواصف إلغاء الهندسات القديمة. نُخلّي النقض للموظّفين على شفير الرمال المتحرّكة!

لا وقت مع الشُّرفة حين تَرى...

المرأة...

المحسودة. المُبْعَدَة عن إهانة الأسماء. عن خَجَل الأمثلة. من كلّ ناحية عَرْض أو صلاة؛ التماثيل تجرّب النيل منكِ وعيونُ النسور تحتشد في المؤامرة!

أمّا المكالمة فتَدْفق، على ظهر القوس، وراء عُزْف الكهرباء، ناشرةً ذعرها الحُرّ في الريش. أنا رأيتُ طيور الفريقين تولّي هاربة. أنا أجبتُ على الذكريات!

وحين توجّهَتْ إليّ

أقصِدُ حين فَتَحْتِ غرفتي واستطعتُ تمييز الكلمة عرفتُ ما كان ينقص الأشياء المقدّسة.

رأيتُ أيّ خطأ...

لكنّ إلى هنا فقط وأنْ نذهب.

أمامنا...

وأمامنا أنْ نُسرع وننسى!

وغيرُ بداية الشّعر فيك، غير فضيحة الصمت. لأننا شفينا ونحمل حقوق الآلهة المغسولة بأوجاع الوحوش!

إستسلمي لعطائي. أكلّمك كلام المضطَهَد بحنانه.

كلام شاعر يُحِبّ!

كلام اللّغة المهزومة!

أيّتها المرأة أخيرًا... أوقفْتُ مِرْوحَة الشعر ورميتُ آثاري. خَتَمْتُ أرقامي. طَلَعْتُ

من فخذ الهاجس إليكِ وأسطورتي ترنُّ على بلاط اللّيل.

أسْكتيني، يا مَنْ تُزيّنها قَشَعْريرتي!

ولينطلق عرسُنا من الأبواب الأخرى...

أطفئي كلَّ بريق في عينيَّ

ولا يبقَ غيرُ بَحْرِكِ يحلم بيديَّ المُعميتين أجراسَ لذَّته المجنونة.


القَفَص

الحياة المُقبِلة

مُنِعَتِ النساء من الانتحار بالحيَّة، رُميَتِ الرسائل الزرق بالرصاص بعدما الحاكمُ محاها. وفي الساحة كبتوا النار بالزيزفون. وعند المساء لم يبقَ.

نَعِسَ العالمُ ونام.

خَرَجَ العاشق من السَّيف.

زُجاج الذّاكرة المُهَشَّم

الجوقةُ جَرَفَتْني

يتذاكرون سطرًا لسطر. نظرَتُكِ الآليَّة تُبعثر الكامن والطافح،

فراغ وغابتي.

الرملة المفتوحة الصّمّاء، الخَشَبة، الغابةُ الذائعةُ في الخشبة، وكلُّ شيء رائج هناك

وقلبيَ المقلوب.

للموج ملحُهُ

للموت لحمهُ

وللبراكين خيبتُها.

أنهضُ من زجاج الذاكرة المُهَشَّم ينطلق عصفورٌ مشلول. أنذرتُكِ العاشقُ يصمد!

المجمرة تكتظّ. المجمرة ربيع. المجمرة مكفوفة. المجمرة تُفلس في يديكِ.

يتذاكرون فحمة لفحمة.

حَجَرُكِ وجَمْرُكِ.

أخذَني النهرُ ولم ترَوْني.

في العيون

لا الحدائقُ الخياليّة

المُعلّقة

لا المغاور المُقَسّمة خَلْفَ الأصداء

لا حَبَلُ الوهن

لا توالُدُ الصرخة

لا دحرجةُ البجع

لا دَرْبَكَةُ الدم

لا سِمْنَةَ الدُوَيْبات من البدء

ملوكها في الخرائب عند باب الشعوذة السابع

لا الجريمة

لا جندلة النار والكناريّ.

مع القارّة الفقيدة

تولّى زمانُ الصيد

سَبَقَها

وحتّى أغنّيَكِ أغنيتي

أجلسُ

مكشوفًا، نابضًا، صامتًا

في العيون.

الوداع

ـ كم أريتكَ لا يُخفي شيئًا هذا التمثال!

ـ أضعُ هدوئي عليك، يا صوت، الدعاء ضجيج يُذكّر الناسين. الأمر نبرتي. أُهشّم خَطْوي وظِلّه. طاب ليلكِ أيّتها الببغاء!

أُطاردُ هذا الحُبّ

أُطاردُ هذا الحُبّ

مع السماء لي زوج كلام! ستنزاحين لأنّي أعرف عقولهم ـ غيَّرتُ نَعْلَ الشرّ!

ألاحقُ امرأة.

نسيتُ..

أُهرّبُ هَدَفي، وأَصِلُ قَبْلَه!

شهرزاد

أزْهَرَتْ فجأة شمسُها.

شهرزاد!

كِتاب يصيح.

(فكَّرتْ السلطان مات)

على الأرض وَطَن

غادَرَ الأرض

على رائحة ضعيفة

يَطُمُّ وجه وَلَدِهِ

من ندَم

بريء

حنون

أبديّ.

العينان

أنعم من وَرَق الدخان، تتنزّه على حشيش أبطالي. تُرخي بحذائها كالبطّ عضلات الأرض

وتَدْخُلُ الساحةُ قلبي، أمّا الثور فينسى الماضي ويفتح عينيه المُضرَّجتين بالعَدْل. ونبكي.

نبكي لحظة.

وبعدها نبكي. نبكي.

وينظر إليَّ الثورُ كالزوج المُجَفْصَنِ بالحكُم.

وهي تغلي. تغلي. تغلي.

تغلي في عينيَّ المُضرَّجَتين بالبَشَر.

تُقبّلني بعد ذَبح الثور، تَمْسَح دويّ فخرها. إنّني آشيل.

دحرجتُ وجهي ولم تَرَ.

أُغنية أدراج الرّياح

لِمَ العشبُ

والأُغنيةُ الجزيرة

وهذه العيونْ

وهذه الأحشاءُ والعيون

ما دمتُ رقصتي

ومِزْجَلي

ما دمتُ قَفَصي الدوّارْ

وآخَري

ما دمتُ أستعير شفتيّ

ما دمتُ أستعير عاشقًا من أُذنيّ.

القَفَص

توقَّفتُ وبي رائحةُ العوسج وفارتِ الأنوار. وَقَعَتِ النساءُ من النوافذ!

أما بقي طاووس أصيل؟

توقَّفتُ وبي رائحةُ الخَبَل. سريعًا تَقَصَّفَتْ أنواري.

فاحَ حناني المربَّع.

الطّير الأسود

أصابعي

كي تَشْرَحَ فَمكِ

تُجذّف في الرصاصْ

وحين يحين موعدي...

فجأة

بِرُعبِهِ القديمْ

الطيرُ الأسْوَدُ يُوقظكِ

صمتُ المجذافْ

يَسكنكِ

نَظَرُ المجذاف.

السّمّاقة

لم تسمعْكَ

لن تسمعَك

حين طلعتَ الدَّرَجَ ابتلعكَ الدَّرَجُ تدحرجتَ

قطنة

في البحر السفيه

المكسور

الباحث...

السّمّاقة صَهَل لها دَمُك بعيدًا تحت المياه على كعب شجرة. السّمّاقة

لا تسمع

كلُّ السّمّاق لا يسمع.

المُهرّج

المُهرّج

1960

إقتربوا أو اهربوا

سأُنقذ الغناء

سأشطف الأرض. حنجرتي الشّياه الضالّة رمادُ المراثي والمزامير شَعري. آكلُ القنديل أنفخ الشَّبَح. أتسطَّح على روابي الكلمة.

من أجل ذلك تنهض الصاعقة لإشارتي. الموت للزهرة تَلْبس بابل تحتمي بمخلب الندى. الموت للعمالقة المُضمَّدين بالنساء يرمون أسهم الكيمياء والنجمة المذنَّبة يغلون العواصف كالطرائد. يربطون زبائنهم بصمغ الأثداء يشمّعون النسل.

(جميلون، مع هذا

كغادرة

بارعون كمعاطف الفرسان. أخافهم وأبردُ. خسرتُ دمائي!

من يسمع كلمات حافية؟)

أنا الشاعرُ

شجرة الغيلان رَحِمُ الصحارى المَلِكَةُ المفترِسة

أنفُثُ عَدَمي.

جراد العناصر

نحن

يولَد أطفالنا من التالول تصطاد نساؤنا الخلجات يُحصينَ الأجانب...

آت من بعيد... المخمل واللّيل؟ قفزتُ فوق الخاتم فليقلْ أحد إنّي باطل. نبشتُ القبور وحفّار الكلمة بثأر عقلي!

المتلَفون

المتلَقّون

العصافير

الريح

الريح فلّاحة الحبر واجهةُ الأبجديّة

الريح الشهيدة

الريح

لفظةُ الريح، الريحُ اللّفظيّة

الريح اللّفظة، أيّتها الأمواجُ الغبارُ الطائرُ الأزهارُ الألوانُ أيّتها الأشياء والعناصرُ يا أغصان النساء وغُرَف الحلم والأحداق رؤى الجلاتين أيّتها الدمعة هيّا إلى المجزرةِ حيث قرقعةُ عَظْمي نشيدُ اليقظة.

... إقطعوا الشاعر ونسله!

طويلًا ناديتُ وَضِعْتُ أكثر من صَدَفة. من يعرف ظَهري؟ الغروب والشروق زعبرة في كيس. أُحبُّكَ. حيث تطير تأسر موعدًا مع الحظّ.

حلمتُ، أنامل في حلمي. أيّ الأصدقاء يجهل رعشتها؟

مُرهَق حول دفتري. جسمي وحيد. لا منقار يخدش كفّي. أظلّ على ركبتيَّ هدف الصراخ يسلبني وترجع الأنظار عن حوادثي.

القطيع يقطع

عيد سعيد أيّتها القافلة!

توارت الأحزان في الجثّة والحقائقُ في واديها فأُطفئت الأنوار فوق المُحجَّب وغرقتْ نافورة الأسرار. هَبطَتْ

إنفجرتْ

وَقَفَ القطيع يتفرَّج.

وقفوا يرمقون ميتتي ويسحبون شَعرَهم من القيظ.

1962

صوتُكِ ناعم. أنام في خُلُوّكِ. أشمُّكِ بكلتا يديَّ.

ـ تدعوكَ إلى الجدول. عُدْ ناصعًا.

شهيّ كالبَرَد.

جسمُكِ يجرّ الخدَرَ الشاغر. دفنتُ التطيُّر والغربة وعليكِ أمواجي. مُرّي: ليس في الروح أحد.

صباحُكِ طافح والميتُ مُرجأ. أقبلي امتشقيني بَزَغْتُ لكِ،

صرتُ وجه الناس.

أيُّها الحبّ! البومةُ المُغمَدَةُ في الشمس

الطَّلَلُ النابح

الصفصاف القاطع

العينان المُهمَلتان في القلب

اللحظة ملساء، سيّدةُ العطايا. وأنتَ بإحدى مقلتيك تعوي...

2

هل كَذِب مِثْل كذبي؟ مَلِك مثل مَلِكي؟ أرِنّ في طبوله رنينًا يَنزل. ماذا بقي؟ أخرجتُ صوتَكِ الناعم من حَلْقي. هوائي يُضيف الحبّ، يعامل الوجوه، يُوحّد الروافد السود. ذاكرتي دشّنتْ عهدها.

أخطبوط يفترش السَّفَر. يختصر الغُدَد. يخرس.

أسحبكِ نحو زَمَني الكريه

أكْرَهُكِ...

ـ مَنْ؟ مَنْ؟

ـ عدالتي وتهَرْبُ.

ذكرى

كَمْ

هذا

اللّيل!

كلٌّ نعامة تدْفئني.

فقرات من اعتراف المُصطفى الاصطناعي

ألتهي بالدخان

أُخْفِض الكلمات

أرفّ

أتناثر

كانت أحاديثي

أرصفة شتويَّة

والنومَ

والثلوج المزيَّحة

والشهوة

شرقتِ الشمس أو...

كنتُ أهرب

أو...

عَرَفْتُ مَنْ في بئري

قتلوهم على موسيقاي

كنّا نُراهن على أحقادنا

ليوم الأحد

اليوم صُرِعوا

اليوم

ماتوا قديمًا.

كانت أحاديثي

القلب

الكلمة.

فعلتُ هذا.

لكلّ موّالُه

لكلّ دَمُه

ولو لم يكن

لما فعلتُ

(الرقصُ يحتاج إلى اثنين وأنا أُعانق شخصًا لكنَّه مات على الجَبَل).

جميعُ الطُّرَق:

عنديَ الخمر

اللوتُس والأرواح...

لو مرّة كنتُ فراشة تخترقُ الأسْوَدَ والحريق

تخترق الجوزةَ

والفراشة.

لهذا السَّبب

قال الناطور قفْ على الشُّوار تشنقِ الغيظ.

ماتت الداليةُ بعد هذا.

بعاد الصَّنم

أسْلَمْتُ زُفاتي أحسستُ بِوَخْيِ الكرسيّ وغديرِ ساعةِ الجدار.

على نقيض مع الخيّالة.

الزئبق يُبلّل السطوحَ كَذِبًا.

أُحَدّق من حدقة الحمّى،

عَدَمُ التلويح باليد، عَدَمُ تحميل المَلِكَة.

اللَّيل.

اللَّيلُ لا كلمة وَقَعَتْ فيه

على نقيض مع الحيّ.

الطّاغِيَة

تنزل المقصلةُ حاملةً أريجها.

حول القاعدة زنّارُ صِبْيَة يَعدّ الجنون.

بيتي مرتفع كالجسد

الفقر يتنفّس

الأمواج الغاصبة على الصخور مُغْتَصَبَة.

الفقر يتسلّق،

من يدي يشرب

يقطف دخانًا يسمع باخرة يحطّ خمرة شقراء في جيبه. ككلّ طائر عجوز يشقّ الجوّ، عار على ظلاله المحتدمة.

يرفع البيض والزبيب. يبرد كالتوت.

أأنا الطاغية؟

ينصلب على الزجاج كالعاصفة.

مِن يدي يشرب؛ الفقر، حظُّ الآخرين،

أرميها.

الشيطان الأبيض

أقول «هذه» الحياة لا أقصد إهانتكَ. الخريف هذه الحياة، وأنا أُنكرهما. أنبُضُ في سلَّتكَ.

لكنِ الخريفُ الصخرةُ، وأنت، يا الراعي، تمضي ولا تُصدّق؟ أعضُّ الطهارة وراء تجاعيدك الكلاسيكيَّة.

أنا الشيطان الأبيض لم تسمع به. وإن تكلّمتُ فَكَي أُلهيَ القفر في الخلاء. نحن نقشة عساكر الأمن وخَفْر الساحل. قليلًا وتمضي.

أطوي صفحة التضمين لا أعِدُ كالصخرة. أجتازُ أعماق المجاز والكناية. لو كنتَ المغامرات، لو كانت المغامراتُ طازجة!

إرفعْ رأسك نحو روايتي لتقطفها كالأسماء الحبيبة، تشتعل من وجهها، تُنقّط من ذيلها السماءُ في الماء.

الخريف، وغيره. لماذا أحكي؟ مِن القاع تندلع النار تتصقَّع على عجيزة امرأة. الذاكرةُ انقصف ظَهْرُها! بَرَقَتْ، حمراء بالتصفيق، وخَسَفَتْ في حمّالتها. أجيء من هناك. أجيء من قرى باعت لؤلؤتها والنعجةُ صارت تتكلّم اللّغات وتُطلق الصواريخ. وأنت، يا الراعي، أرتابُ في خَشَبك العتيق وكتفيكَ المُتَّصلتين بالشكّ. أما لكَ ظلّ تحت الأرض وكوخ مركزيّ؟ ظَهَرْتَ لي صُدفة، أمامي طُمأنينتك المالسة المُعلَّمة للضربة.

لكنْ ستشوَّه الرواية، فيطول عمري! فأكمن للرُّعاة الصغار عند الأفق والقواربُ تتكسَّر على التجاعيد، والأجسادُ تتمزَّق على الأهداف،

وفي كلّ سلَّة ينبض الشَّيطان الأبيض.

ماموت وشَغْتَقات

ذلك العهد يَدُ ماموت لم تكن ظَهَرَتْ.

قام جدّه ونقل الخَشَب وغشّ العبيد ورَفع أعمدة ليضحك، وماموتُ عليها. نسي ماموتُ حكاياته. هجم يذبح جدّه في حديقته، من الوَرْد إلى الوَرْد.

ماموت عن جدّه: «غايةُ أولادي. حين أهبط يُودّعني بالقصص وشعري يشيب. هواء. لم تكن له يد. كانت شفتاه والحديقة».

ماموتُ أحبَّ شَعْتَقات. كحيَّة اسمُها. ثمَّ أحبَّ شعتقات، قال لها: «رَمَتني شامة. لوّحني كوكب. أسد وحَّدَني اشتهاؤه»، قالت له شعتقات: «جسمك ذئب تركضه رعشاته. جسمكَ شامة تكسوني». قال لها ماموت: «الدُّوار والنارُ والحنين!». قالت له شعتقات: «سنقتل الحارس ونُطلق الحصان». قال لها ماموت: «جسمكِ الحرب. سأحفظ جسمك طريدة. سأضرب الأودية. الويلُ إنْ جَلَسْتِ!». قالت له شعتقات: «الويل إنْ جلستَ! تمتلئ الدفاتر، تنكسر شوكتي. جسمَكَ أسْتَطْعم. رماحَك البعيدة أسْتَطْعم. وهجَك أُحرّك». قال لها ماموت: «أُحبُّكِ».

ماموت، العارفُ الكواكب، خالق المزامير والعادات، لمّا رجع من البلاد أخبرني.

ا

... كَبِتْت تعود إلى الجنّ، على الأغصان، إلى الجنّ، على الضبع والثعلب. في البيوت يصرخون: «نحن لبلاب يابس! البلهاءُ تنسكب على الوحوش!». وهي تأخذهم إلى الأنهار تحت الأساور العالية. تنام عارية. يأتيها البحر ويعود. يأتيها النهر ويشرب. والحصن يرقد تحت شَجَرتها.

حكايات...

جدّي كسَرَ شفتيه، من يديَّ سَقَطَتْ حديقتُه.

سقط الحرشُ

والبنتُ

سَقَطَتْ.

II

ـ إصعدِ البَزْق

في منتصف الجسر أيٌّ قهقهة فيك!...

إمرأة صغيرة تفتح شفتيكَ وتنزل

تأخذكَ بطمأنينة.

الحبُّ لا

العارُ لا يعرفها.

III

تنزاح أغصاني لأكون شُعلتكِ المهجورة. ههنا! الكوكب الميت...

أستحمُّ على ذُروتي وحافيًا تمضين بسرّي.

ساحر يُورقُ في الماء، ساحر يستجوب الحَزْبَةَ، ساحر يُذهل الحنين، ساحر يمرُّ...

أسيرُ فيكِ، أسيرُ فيك...

أنا الجلوسُ! نَلفُظُ أفكار الدُّوار...

IV

دون أن نلدَهم نشمُّ أبناءنا

آه! ما أجمل العبد الهارب!

باكرًا نلتقي

بجسمَين أبيضَين نَفْلَحُ ظلَّ الأسوار...

٧

(إلى الخاسرين تحت السُّقوف: ما زلتُ بكرَ الأحياء؛ الوجهُ اللامعُ غاضبًا كالنحاس. في توبيخكم لمحة عن بعض نَدَمي... لكنّي قَبضْتُ على الحُبّ، وطريقنا حُرّ...

عَرفَني الزنبقُ وأنا حيّ.

إعتقلْتُ كلَّ حَرَكة!).

VI

أنتِ المدعوَّةُ، لكِ قدمان في الصدى وفندق أعمى، وحذاء يُطْلَقُ بصمت. التمثال يبتدئ والخلوةُ تَخضّ الشهوة: تضافرتِ وأصبحتِ النبعَ والنهرَ والبحرَ والعشبَ والرقاد.

حين تَهْدمين الخاتم فلأَذُبْ. الآن ستزوغ أعيُن الأفاعي والأشجارُ تقوم على الرياح وتهطل رقَّتنا على الأكتاف.

VII

كنتُ أحمل شَعْرًا، أحفر الموج الثابت! صريفُ أفكاري يُعمي طيورَ الماء ومن شَعْري يفوحُ شقائي.

كُنتُ نائمًا بعد حرب طروادة.

VIII

لبّيْتُ شعوبَ يديكِ، وليكنْ سلام بين النجدة والعبء: أومأتُ إلى الفعل الحزين أنْ يُثبّت الغيبوبة في المروحة...

وحنيتُ قلبي لئلّا أفقد «خُذني إليك».

أضَعْتُ جَرَسًا. فَقَدْنا أرضًا. لويتُ يدكِ فانحدَرْتُ كالجمرة.

IX

الحقول المبهورة من الشوك

القدّيسةُ الحافلة بخطاياها البيضاء.

كلُّ الحقول في صدركِ الضئيل.

ردفاكِ نقيّان!

(كم وَهَبْتُها الأشباهَ، والأقواسَ، وغيرَها! أنجبتُ الكنائسَ الوحشيّة، الكنائس النحيلة!

وها أترك الغار، ونبضَ العتمة في البَرْد، وآتيها من جدار...

الآبارُ للأرض. العاثرون والضائعون للأرض. لكمُ الأرض. أنتمُ الذين هنا لَهَب وشَمْع. أنتم رَجُل وامرأة!).

X

الدّوريُّ عصفورُ الكهنوت، يطير كما يمشي.

يهزأون بدوريّ فاقدِ الوعي. سيقولون وهُم عائدون: شفتاه تقذفانه...

XI

نُحوّمُ جوعَنا

نَقود حيرتنا

نشمّ أبناءنا

آه!

ما أجمل العبد الهارب!

XII

شَعْتَقات، ألْفُظ اسمكِ! ستائرك تنفتح... ألمحُ خَجَلَ الهدايا ورونقَ الموت. حِلقُنا يحترق.

شَعْتَقات، اسمُكِ يعود... في بُخار الحصار نسيتُه،

جَسَدُكِ يعطيك بئرًا، وجَسَدي سيفًا.

إبكي يا أسرار الأبواب!

XIII

الهاويةُ ملأى.

كلُّ هاوية قديمة وملأى.

لا شيء يدور في بطون الجِمال، والأرزُ فاتَهُ القطار وإنْ بدا مسافرًا.

في القاع أخَذْتُكِ. وعلى السطح أخذْتُكِ.

وفي يديَّ ظهَرَتْ يداي

وفي فمي مدائح...

تنزاح ثيابُكِ عن أغصاني، أخْضَرٌ وأيْبَسُ أخْضَرٌ وأيبس.

ردفاكِ شاحبان!

من خَصْرِكِ يَدْلُفُ الرملُ، ومن نهديكِ الأولاد، ومن لسانكِ العَسَلُ الخانق.

سَمِعْتُ فيكِ انهياري

ومُتّ.

كلُّ سحابة ماتَتْ

آه!

ما أكذبَ العبد الهارب!

الطابةُ تجيء

النشّابُ يقف

الصاعقةُ تُصعَق.

زارعو الفتنة محروقون في الذَّهب

اللّيلُ استأجر المشعوذات!

لِمَنِ الأقدامُ البيضاء والثريّاتُ والعلّيقُ الكهربائيّ

وحَمَلاتُ الأشعَّة

والخادمات

وحروف الحَلْق...

ههنا! الصفحةُ الميتة

أحملُ الذروةَ للهاوية

في البدء، ما أقرب الهاوية!

كوكب العَسَل، كوكب العَسَل

يدان للخنق

مَنْ أشكُرُ مَنْ أُبَخّرُ برياح خلجاني؟ العودةُ خفيَّة. العودة مدسوسة في الصفّ، والأجنحة مُبطَّنة بالرّقّاص، والرياحُ... الرياحُ للرياح: «سنعود. أشياء كثيرة بعد!». وكلُّ مالكِ سكَّة، كلُّ سيّدِ مَطَر، كلُّ زنبقة في الصباح. نسكُنُ إلى الأبد أيدينا.

لو الوردةُ تُبطئ على الجَسَد! كوكبُ العَسَل يبكي. يداه... إذهبْ!

يداه...

الهاويةُ ملأى.

عَرَقُ السماء يضيءُ الذباب. الرقّاص ينظر إلى الكلمة ويكويها.

العشاءُ انتهى!

بحَجَر أحفرُ الحَجَر: جَسَدي وردة

أفتحُ فمها بيديّ

وحدي أنزل دَرَجَها

يترقرقُ عبيرها على خدّيّ

والدَّرَجُ يروح. يروح.

جَسَدي امرأتي

غيومه أبوابي. غيومه أعماقي.

جسدي امرأتي

جَسَدي

هذا ما رواه ماموت صدَّقتُه وحزنتُ.

لو سُمح لقلتُ ماموت كان ضيّقًا شحيحًا، فمات مقهورًا على سِنّ العصور العجوزة.

لو سُمح، وَضَعتُ نقطة. (لا أنوي النزول بين التصفيق) إلى السطر! حيث عفاريتُ البياض أطولُ وأصعبُ وأبعدُ وأسهل. إلى الهاوية. لُجج بأسماء تُشْبهنا. ما أمْقَتَ المولَعين بسواي! بدا أنّني غايةُ الوَرد. غايةُ الوَرْدِ حقًّا. يداي معي، هَرَمَان وراء الزجاج.

أكتبُ إلى جميع النساء:

سَحَرتُ نهرًا. يصعد ظَهْرَ الغشاء. سَحَرتُ الغشاء. حربي ذلك السرّ، لُعابُ سلاحي يُخشخش فرحًا. رأسُ يوسف النجّار على كتفي وجميعُ العصافير ترنّ فيه. سَحَرْتُ ذاكرتي.

الأرضُ نظيفة، تَحفّ الأحلامُ بالنساء.

بِنْت مُشتعلة تَنْسَكب.

خَلَقْتُ

خَلَقْتُ

خَلَقْتُ كلَّ شيء.